# شرح الأربعين النووية

# الحديث الرابع والثلاثون

# مَن رَأى مِنكُم مُنكَرَاً فَليُغَيّرْهُ

## اللقاء السابع والثلاثون

**الحديث الرابع والثلاثون:**

عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدريّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رِسُولَ اللهِ –ﷺ– يَقولُ: (مَن رَأى مِنكُم مُنكَرَاً فَليُغَيّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطعْ فَبِقَلبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَانِ) رواه مسلم.

**ترجمة الراوي:**

وسبق تحدثنا عن الإمام المجاهد، مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان (ابو سعيد الخدري) في اللقاء الخامس والثلاثون رضي الله عنه وعن جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.....

**منزلة الحديث:**

هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وظاهره: أن الإنسان يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسَبَ الاستطاعة [الجواهر اللؤلؤية].

قال النووي رحمه الله: هو مِن أعظم قواعد الإسلام [شرح مسلم للنووي].

قال القصري رحمه الله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أقوى شُعَب الإيمان بوجه، وأضعفها بوجه؛ فتغييره باليد واللسان أقوى شعب الإيمان، وتغييره بالقلب أضعف الإيمان [فيض القدير].

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الحديث أصل في صفة التغيير [شرح مسلم، للنووي].

**شرح الحديث:**

((مَنْ رَأَى)) يحتمل أن يكون المراد رؤية البصر، أو أن المراد رؤية القلب، وهي العلم، والثاني أشمل وأعم، ((مِنْكُمْ))؛ أي: معشر المسلمين المكلفين القادرين، ((مُنْكَرًا))؛ أي: شيئًا حرمه الشرع فعلا أو قولًا، ولو صغيرًا، ((فَلْيُغَيِّرْهُ)) قال ابن دقيق العيد رحمه الله: فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أيضًا من النصيحة التي هي من الدين.

((بِيَدِهِ))؛ لأنها أبلغ في تغييره؛ كإراقة الخمر، وكسر آلة لهو، والحيلولة بين الضارب والمضروب، ورد المغصوب إلى مالكه، ((فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ)) الإنكار بيده بأن ظن لحوق ضرر به؛ لكون فاعله أقوى منه، فالواجب تغييره ((فَبِلِسَانِهِ))؛ أي: فليغيره بالقول، وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد عليه، وذكر الوعظ والتخويف، والنصيحة بالكلمة الطيبة.

((فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ)) ذلك بلسانه؛ لوجود مانع؛ كخوف فتنة، أو خوف على نفس، أو عضو، أو مال محترم، أو شهر سلاح، ((فَبِقَلْبِهِ)) ينكره وجوبًا، بأن يكرهه ولا يرضى به، ويعزم أنه لو قدر على تغييره بفعل أو قول، لفعَل، فأفاد الخبر وجوب تغيير المنكر بكل طريق ممكن، فلا يكفي الوعظ لمن يمكنه إزالته بيده، ولا بالقلب لمن يمكنه باللسان.

((وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))؛ أي: إن كونه لا يستطيع أن يغيره إلا بقلبه هو أضعف الإيمان.

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وتعاونوا على الحق، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، واعلموا أنكم إن صدقتم العزيمة، وأخلصتم النية، واتبعتم الحكمة في تقويم عباد الله وإصلاحهم؛ فكل شيء يقوم ضدكم سيضمحل ويزول، فالباطل لن تثبت قدماه أمام الحق، لقد ابتلي كثير من الناس في هذا الزمان بالتلاوم والتواكل.

ولم يؤد كل منهم ما يجب عليه نحوه، وصار كل واحد يلقي بالمسؤولية على غيره ويبرئ نفسه، حتى إن صاحب البيت يرى المنكر في بيته، ويرى أولاده يتركون الصلاة ولا يحضرون الجمع والجماعات، ومع هذا يجلس منبسطاً معهم يواكلهم ويشاربهم ويمازحهم، وكأنهم ما عصوا الله وارتكبوا ما يوجب كفرهم وخروجهم عن دين الله، وإن من الناس من يخرج إلى صلاة الفجر وأولاده في مراقدهم نائمون منهم البالغ وغير البالغ، ومع هذا فلا يوقظهم ولا يحثهم على أدائها، معتذراً بأعذار باطلة، كأن يقول: "غلبهم السهر وهم مرهقون، أو أن المسجد بعيد عليهم، أو أن البرد شديد وذلك في أيام الشتاء" وغير ذلك من الأعذار، ولكن والله لو كان إيقاظهم لأجل عمل أو دراسة لترك ذلك العذر، ولأتى بمبررات توجب إيقاظهم..... والله المستعان

❁الأمر بالمعروف: هو الإرشاد إلى المراشد المنجّية، والنّهي عن المنكر، الزّجر عمّا لا يلائم في الشّريعة. وقيل: الأمر بالمعروف: الدّلالة على الخير، وقيل: الأمر بالمعروف: أمر بما يوافق الكتاب والسّنّة، والإشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال العبد وأفعاله.

❁والنّهي عن المنكر: المنع عن الشّرّ. ونهي عمّا تميل إليه النّفس والشّهوة. وتقبيح ما تنفّر عنه الشّريعة والعقّة وهو ما لا يجوز في شرع الله تعالى.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: واجب بنص القرآن الكريم وصريح السنة النبوية وإجماع الأمة.

إن من الشعائر العظيمة لهذا الدين شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يَعُدُّه الكثير من أهل العلم ركنًا سادسًا من أركان الإسلام.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر الله لنا؛ يقول –تعالى–: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [آل عمران: 104]، ويقول–ﷺ–: " مُروا بالمعروفِ، وانهوا عَنِ المنكرِ، قبلَ أن تَدعوا فلا يُستجابَ لَكُمِ " (صحيح ابن ماجه)، ويقول الإمام ابن حزم –رحمه الله–: "اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم".

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة الرسل ووظيفة أتباعهم، وقد وصف الله به رسوله –ﷺ– في كتابه، وجعلها أبرز صفاته بل أولها؛ فقال: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ) [الأعراف:157].

وهو أعظم صفة من صفات أهل الإيمان؛ إذ به يتميَّزون على غيرهم ويفتخرون على مَنْ سواهم؛ لأنهم لا يعيشون لأنفسهم فقط، وإنما يعيشون لأنفسهم ولغيرهم، ولأنهم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما وَرَّثوا العلم، فَمَنْ أخذه أخذ بحظ وافر، يقول الله–تعالى–:(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)[التوبة: 71].

قال الإمام الطبري –رحمه الله–: "هؤلاء الذين هذه صفتهم، الذين سيرحمهم الله، فينقذهم من عذابه، ويدخلهم جنته".

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات أهل الجنة الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله واشتروا الجنة فعاشوا سعداء وماتوا سعداء، ووجدوا لذة الدنيا قبل الآخرة؛ يقول –تعالى–: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [التوبة: 112].

وهو سفينة النجاة وصمام الأمان من العذاب؛ يقول –تعالى–: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)[هود: 117]، وهو أمان من اللعنة؛ يقول –تعالى–: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[البقرة: 159–160]، وأمان من الهلاك؛ يقول –تعالى–: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[الأعراف:165].

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون التثبيت في الأرض والتمكين فيها؛ يقول –تعالى–: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج: 41].

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت الخيرية لهذه الأمَّة على غيرها من الأمم؛ يقول –تعالى–: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[آل عمران: 110].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه قال: "خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ"(أخرجه البخاري).

وفي هذا الأثرِ يُخبِرُ التابعيُّ سَلَمةُ بنُ دِينارٍ المَدَنيُّ أنَّ أبا هُرَيرةَ رضِيَ اللهُ عنه ذَكَر قولَه تعالَى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران: 110]، ثمَّ فسَّره بأنَّ هذه الأُمَّةَ هي خَيرُ النَّاسِ للنَّاسِ نفْعًا وإحسانًا؛ إذ يأتون بالأَسْرَى مُقيَّدين في أعناقِهم بالسَّلاسِلِ ونحوِها مما يُربَطُ به الأسيرُ، «حتَّى يَدْخُلوا في الإسلامِ» طَوعًا؛ فيكون إسلامُهم سَببًا لهم في دُخولِ الجنَّةِ وتَحصيلِ السَّعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ. الدرر السنية

قَالَ–ﷺ–: "أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–"(صحيح الترمذي).

وقال القاضي: "وهذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنَّما يأخذ بحظه منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله".

قال الإمام النووي –رحمه الله–: "يَنْبَغِي لِلْآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يَرْفُقَ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ؛ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ –رحمه الله–: "مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ"(شرح النووي على مسلم).

قال الإمام ابن تيمية –رحمه الله–: "الْأَمر بِالْمَعْرُوفِ والنهي عَن الْمُنكر هُوَ الذِي بُعثت بِهِ الرُّسُل، وَالْمَقْصُود تَحْصِيل الْمصَالح وتكميلها وتعطيل الْمَفَاسِد وتقليلها بِحَسب الْإِمْكَان.

وقال –رحمه الله–: "إِنَّ صَلَاحَ الْمَعَاشِ وَالْعِبَادِ فِي طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَبِهِ صَارَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ".

لقد تخلَّى الكثير من المسلمين اليوم عن هذا الواجب؛ فَهَا هُمْ يرون المنكرات تعجُّ بها الطرقات والبقاع فلا يأمرون بمعروفٍ ولا ينهون عن منكر، ولا ينبّهون غافلًا ولا يخوّفون مجاهرًا، ولا يحذِّرون لاهيًا لاعبًا، ويوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده، قال الغزالي –رحمه الله–في بيانِ سوءِ عاقبةِ تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ–: "ولو طُوِي بساطُه وأُهملَ علمُه وعملُه لتعطلت النبوةُ، واضمحلت الديانةُ، وعمَّت الفترةُ، وفشت الضلالةُ، وشاعت الجهالةُ، واستشرى الفسادُ، واتسع الخرقُ، وخربت البلادُ وهلك العبادُ".

إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة من صفات المنافقين؛ يقول –تعالى– عنهم: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [التوبة: 67].

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هلاك وعذاب، قال –تعالى–: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[المائدة: 78–79]، قال رسول الله –ﷺ–: " إنَّ أولَ ما دخل النَّقْصُ على بني إسرائيلَ أنه كان الرجلُ يَلْقَى الرجلَ فيقولُ : يا هذا اتَّقِ اللهَ ودَعْ ما تَصْنَعُ فإنه لا يَحِلُّ لك ثم يَلْقَاهُ من الغَدِ وهو على حالِهِ فلا يَمْنَعُهُ ذلك أن يكونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وقَعِيدَهُ فلما فعلوا ذلك ضرب اللهُ قلوبَ بعضِهم ببعضٍ" (أخرجه أبو داود)، وفي الحديث: قالَتْ زَيْنَبُ بنْتُ جَحْشٍ:" يا رَسولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ؛ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ "(صحيح البخاري)، ومن حديث جرير بن عبد الله –رضي الله عنه– مرفوعًا: " ما من قومٍ يُعملُ فيهم بالمعاصي، هم أعزُّ وأكثرُ ممن يعملُه، ثم لم يغيّروه، إلا عمَّهم اللهُ تعالى منه بعقابٍ " (صحيح الجامع).

وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُحْرَم الإنسانُ من إجابة الدعاء؛ فيبقى محرومًا بعيدًا عن الله شقيًّا لا تُجاب له دعوة، ولا يُعطى سؤالًا، يقول –ﷺ–: " والَّذي نَفسي بيدِهِ لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عنِ المنكرِ أو ليوشِكَنَّ اللَّهُ أن يبعثَ عليكُم عقابًا منهُ ثمَّ تَدعونَهُ فلا يَستجيبُ لَكُم ". (صحيح الترمذي).

إن أولى الخلق بهذا الواجب هو النفس؛ لتكون لوَّامة لصاحبها على ترك الطاعة وعلى فعل المعصية، وليكون الإنسان قدوة للآخرين؛ فإن الله –تعالى– يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)[الصف: 2–3]، وفي الحديث: يقول –ﷺ–: " يُجَاءُ بالرَّجُلِ يومَ القِيَامَةِ فيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أقْتَابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كما يَدُورُ الحِمَارُ برَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أهْلُ النَّارِ عليه فيَقولونَ: أيْ فُلَانُ، ما شَأْنُكَ؟ أليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمَعروفِ وتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟! قالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بالمَعروفِ ولَا آتِيهِ، وأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتِيهِ "(صحيح البخاري).

ويلي النفسَ الأهلُ؛ لأن الله -تعالى- يقول: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[الشعراء: 214]، ويقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)[التحريم: 6]، ويقول -ﷺ-: "والرَّجُلُ في أَهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا" (متفق عليه)، والعمل على إصلاح الأهل أَوْلَى من تغذيتهم بالطعام والشراب.

ويلي الأهلَ المجتمعُ كله، وهو في هذا الزمان أوجب؛ لانتشار الغفلة والاغترار بالدنيا، وتسلُّط الشيطان، وكثرة الانحراف والضلال، والتشبُّه بالأعداء، وفُشُوّ المنكرات؛ ولذا يقول -تعالى-: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)[آل عمران: 110]، ومن أنواع النصيحة: النصيحة لعامة المسلمين.

ولأن إنكار المنكر يكون بحسب استطاعة المرء وقدرته فإنه على درجات ومراتب ثلاث وهي:

❁المرتبة الأولى: باليد؛ وهذه للأمراء والأولياء؛ وقد شرع الله الحدود لبيان إزالة المنكر باليد، فَشَرَعَ القصاصَ لتحفظ به النفوس، وشرع حَدَّيِ القذف والزنا لتُحفظ به بهما الأعراضُ، وشرع حد السرقة لتحفظ الأموال، وحد الخمر لتحفظ العقول.

❁المرتبة الثانية: تغيير المنكر باللسان، وهذه للعلماء والدعاة ومَنْ تحقَّق لديه أمر المنكر، ولا يُعْذَر بتركه أحدٌ قَدَرَ عليه، وتكون بالموعظة وبالدرس وبالنصيحة وبالكلمة الطيبة وبإهداء الأشرطة والكتب ونحوها.

وقال النووي رحمه الله: " فإن خاف من ذلك على نفسه أو ماله أو على غيره: سقط الإنكار بيده ولسانه، ووجبت كراهته بقلبه. هذا مذهبنا ومذهب الجماهير".

❁المرتبة الثالثة: بالقلب، وهذا لا يعذر بها به مؤمن، ومن لم يستطع أن يُنكر بقلبه فليس في قلبه شيء من الإيمان، والإنكارُ بالقلب يقتضي بغض أهل المعصية عند الإصرار والتحذير من شرهم؛ يقول -ﷺ-: "مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (رواه مسلم).

وقد شاع عند بعض الناس أن ذلك تَدخُّلًا في شؤون الغير، وهذا من قلة الفهم ونقص الإيمان، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ أمنُوا عَلَيكُم أَنفُسَكُم لاَ يَضُرُكُم مَّن ضَلّ إِذَا اهتَدَيتُم ﴾، وإني سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»؛ [رواه أبو داود وغيره].

وأما قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: 105]، فليس مخالفًا لما ذكرنا؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية الكريمة: أنكم إذا فعلتم ما كُلِّفتم به لا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾

[الأنعام: 164]، وإذا كان كذلك فمما كلف به المسلم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك، فإنما عليه الأمر والنهي، لا القبول، والله أعلم[شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد].

وليعلم المسلم أن الغرض من هذه الشعيرة العظيمة هو القيام بأمر الله، والطمع في الثواب الجزيل، والإعذار إلى الله؛ قال –تعالى–: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [الأعراف: 164]، وحماية المجتمع من الشر والفساد ونشر الفضيلة ومحارَبَة الرذيلة والخوف من عقاب الله والسلامة من غضبه، قال –تعالى–: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)[هود: 117].

إن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم سبب نجاة المجتمع من الهلاك الذي ربما أصابه بسبب ارتكاب المعاصي والإعراض عن الواجبات، وقد ضرب رسول الله –ﷺ– في ذلك مثلًا حين قال: " مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا. " (رواه البخاري).

وفي هذا الحديثِ يَضرِبُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَثَلًا لأهَمِّيَّةِ القيامِ بالأمرِ بالمَعروفِ والنَّهيِ عن المنكَرِ، فمَثَّل القائمينَ بِحُدودِ اللهِ –وهم المُستَقِيمون على أمرِ الله، الآمِرُون بالمعروفِ النَّاهُون عن المنكرِ– والواقعين في حدود الله –أي: التارِكين للمعروف، والمرتكبين للمنكر– بِرُكَّابِ رَكِبوا في سَفِينةٍ، تَنازَعوا مَن يكونُ في أعْلاها ومَن يكونُ في أسْفَلِها، فاقْتَرَعوا على مَن يَجلِسُ أعلَى السَّفِينَةِ ومَن يَجلِسُ أسْفَلَها، فنال بَعضُهم بالقُرعةِ أعْلاها، وبَعضُهم نالَ بالقُرعةِ أسْفَلَها، وكان الَّذين في الأسفَلِ إذا أرادوا جَلْبَ الماءِ مَرُّوا على مَن فَوقَهم مِن أهْلِ الأدوارِ العُلْيا، وفي مَوضعٍ آخَرَ في صَحيحِ البُخاريِّ قال: «فتَأذَّوا به»، ففي ذَهابِهم وإيابِهِم وإمرارِهم بالماءِ عليهم أذيَّةٌ لمَن همْ في أعْلى السَّفينةِ، فقال الذين في الأسفَلِ: لو أنَّا خَرَقْنا خَرْقًا في نَصِيبِنا الَّذي في الأسفَلِ، فجَلَبْنا الماءَ مُباشَرةً دونَ أنْ نَصعَدَ لأعلَى السَّفينةِ ونَضُرَّ مَن في الأعلَى؛ لَكان أفضَلَ، وفي رِوايةٍ في البُخاريِّ قال: «فأخَذَ فأْسًا، فجَعَلَ يَنقُرُ أسفَلَ السَّفينةِ»، فلو تَرَكَهم مَن بالأعْلى يَفعَلون ذلك، لَغَرِقَتِ السَّفينةُ بهمْ جميعًا؛ لأنَّ مِن لازِمِ خَرْقِ السَّفينةِ غَرَقُها وأهْلِها. ولو قامُوا بِنَهْيِهم عن ذلك ومَنَعوهم مِن ارتِكابِ هذا الخَطأِ، لَنَجى الفريقانِ جَميعًا.

فهذا حالُ الآمِرِين بالمعروفِ النَّاهِين عن المنكَرِ، لو تَرَكوا ذلك لَهلَكَتِ الأُمَّةُ بأَجْمَعِها، ولو فَعَلوه ونَهَوُا النَّاسَ عن المُنكَرِ لَصَلَح حالُ الجميعِ.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق مستقيم، وهو طريق أهل الجنة، ويحتاج الإنسان في هذا الطريق إلى عددٍ من الصفات؛ منها:

العلم بالمعروف حتى يأمر به، ومعرفة المنكر لينهى عنه، قال عمر بن عبد العزيز فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ بغير علم: "كان إفساده أكثر من إصلاحه".

ومنها: الإخلاص؛ فلا يجعل عمله لأجل الدنيا ولا لأجل المنصب ولا للرياء ولا للسمعة، وإنما يريد الثواب من الله –تعالى–.

ومن الصفات: الرفق واللين؛ قال –تعالى–: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: 159]، وقال –ﷺ–:" إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شَيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شَيءٍ إلَّا شانَهُ". (رواه مسلم)، وقال –ﷺ–: " إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي علَى الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي علَى العُنْفِ"صحيح مسلم

وقال سفيان: "لا يأمر ولا ينهى إلا مَنْ كان عالِمًا بما يأمر وبما ينهى، وعدلا فيما يأمر وفيما ينهى، ورفيق بمن يأمر وينهى".

ومن الصفات: الصبر؛ فإن الله أَمَرَ بالصبر، ويعطي على الصبر ما لا يعطي على غيره؛ قال –تعالى–: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[العصر: 1–3].

ليس مؤمن إلا وهو يحب هذه الشعيرة، والقيام بها، ومن قام بها، ومن نصرها.. ويكره من أعرض عنها، أو عطلها، أو سعى فيها بالدوائر، فهذا من علامات الإيمان.

المراجع:


1. شرح حديث: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده: عبد العال سعد الشليّه.
2. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ملتقى الخطباء – الفريق العلمي.
3. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فضائل وثمرات: عمر بن عبد الله بن مشاري المشاري